مقدمات أساسية في تفسير القرآن بالقرآن

الباحث/ إبراهيم محمد إبراهيم

باحث أكاديمي

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

وبعد: فإن القرآن الكريم هو مصدر التشريع للأمة، وقد أمر الله تعالى بتدبره، والتفكر في معانيه، ولا يتحقق ذلك إلاّ بمعرفة معانيه والعلم بتفسيره وبيانه، حيث إن علم التفسير من أشرف العلوم وأعلاها وأسماها، والاشتغال به من أجل القربات والطاعات، وذلك لشرف موضوعه.

ولذا فإن أفضل الطرائق لتفسير كتاب الله هو الرجوع إلى القرآن نفسه، فهو من أهم مصادر التفسير؛ لأنّ صاحب الكلام أدرى بمعانيه ومقاصده وأهدافه من غيره.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُفسِّر القرآن بالقرآن، ليُؤَصِّل لأمته وللعلماء بعده هذا المنهج السديد في بيان معاني القرآن؛ لذا سلك المفسرون من الصحابة ومن بعدهم من أئمة التفسير هذا المنهج، وعنوا به غاية العناية، حتى أفرده بعضهم بالتأليف والتصنيف.

على أنّ بيان القرآن بالقرآن ليس على درجة واحدة من الوضوح، فمنه ما يدرك بداهة، ومنه ما يحتاج إلى نظر وإعمال فكر، واجتهاد من المفسِّر؛

لذا كانت الحاجة – وما زالت – ماسة إلى الدراسات العلمية في تفسير القرآن بالقرآن وأصوله، ودراسة وجه البيان فيه، ومعتمد الارتباط بين الآيات، ولذلك رغبت في أن أشارك بهذا البحث حول هذا الموضوع تحت عنوان "**مقدمات أساسية في تفسير القرآن بالقرآن**".

وقد قسَّمت هذا البحث أربعة مباحث، الأول: أهمية تفسير القرآن بالقرآن، الثاني: طريقة الوصول إليه، وحجيته، الثالث: مصادره وأهم الكتب المؤلفة فيه، الرابع: أوجه تفسير القرآن بالقرآن.

المبحث الأول: أهمية تفسير القرآن بالقرآن

إن مصطلح تفسير القرآن بالقرآن لم يخُصُّه العلماء بتعريف منفرد، بل من ذكره من العلماء ذكره بضرب المثال عليه أو بذكر بعض أنواعه أو ببيان أهميته ومكانته، وذلك لوضوح هذا المصطلح عندهم، فهو مشتق من علم التفسير، وقد عَرَّف العلماء علم التفسير لغة واصطلاحاً، ولتعريف هذا المصطلح تحديداً يجب علينا أن نُعرِّف ألفاظه المكوَّن منها؛ حتى يتَّضح لنا التعريف الشامل له، فهو يتكوَّن من لفظين (التفسير) و (القرآن).

تعريف لفظ التفسير لغة واصطلاحاً:-

التفسير لغةً: "مأخوذ من مادة (فَسَرَ) والفَسْرُ: البيان، فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفَسَّرَهُ أَبانه، والفَسْرُ: كشف المُغَطّى والتَّفْسير كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكل".(١)

والتفسير اصطلاحاً ذكر العلماء له تعاريف متعددة أذكر منها:-

تعريف الإمام الزركشي، حيث قال: "هو علم يُعْرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه".(٢)

واختياري لهذا التعريف دون غيره، لأنه مستمد من التعريف اللغوي للتفسير، حيث قال الإمام الزركشي بعد ذكره لهذا التعريف: "واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات"، وأقرب التعاريف للصواب هو ما وافق اللغة العربية.

وبذلك أستطيع القول بأن التعريف اللغوي والاصطلاحي يتفقان على أن المراد بالتفسير: هو **البيان**، فنخلص إلى أن المراد بالتفسير هو: **بيان معاني كلام الله عز وجل.**

وأمَّا تعريف لفظ القرآن الكريم:-

فهو: كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بألفاظه المتعبد بتلاوته المكتوب بين دفتي المصحف المنقول إلينا بالتواتر .(٣)

وبعد الوقوف على ألفاظ **مصطلح تفسير القرآن بالقرآن**، فإني ألخص تعريفاً خاصاً له:-

تفسير القرآن بالقرآن مشتق من علم التفسير، وبذلك لن يخرج معناه عن معنى التفسير لغة واصطلاحاً كما ذكرت سابقاً.

فأعرِّف المراد بتفسير القرآن بالقرآن بأنه: بيان القرآن بالقرآن.

وهذا هو التعريف الذي يوضِّح الغاية من تفسير القرآن بالقرآن عند العلماء، فالقصد من تفسير القرآن بالقرآن هو بيان القرآن بالقرآن.

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله في مقدمته لأضواء البيان: "واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمرين: أحدهما: بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله" (٤)

وهذا البيان يتفاوت قوةً وضعفاً، وقرباً وبعداً، وظهوراً وخفاءً، ومطابقةً ومقاربةً، وله أنواعٌ وأوجه متعددة سأذكرها مع التمثيل لها لاحقاً، فالمراد من هذا النوع من أنواع التفسير، هو مطلق البيان لآيات الله بعضها ببعض بأي وجه من أوجه تفسير القرآن بالقرآن، وذلك بعد دراستها وبيان أوجه الارتباط بينها.

إن كتاب الله جل وعلا هو المصدر الأول في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، فقد بيَّن الله جل وعلا فيه كل ما يحتاج إليه المسلم من أمور دينه ودنياه، فهو دليل السائرين إليه، به يعرف المسلم الحلال من الحرام، والهداية من الظلال وهكذا، ومن أهم ما بيِّنه كتاب الله هو ما جاء فيه من مجمل ومبيَّن، أو مطلق ومقيَّد، أو عام وخاص، فالقرآن يُبيِّن ويوضِّح بعضه، وقد ذكر الله لنا في كتابه أدلة على ذلك منها:-

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٨٧]

وقوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٢١]

وقوله تعالى: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ [سورة النحل : الآية ٨٩]

وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ﴾ [سورة القيامة : الآية ١٩]

فهذه الآيات تدل على أهمية القرآن في بيان القرآن، وقد ذكر العلماء بأن هذا النوع من أنواع التفسير من أفضل أنواع التفسير وأصحها وأحسنها وأبلغها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد

فسر في موضع آخر وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له" ا.هـ (٥)

وترجع هذه الأهمية لهذا النوع من أنواع التفسير لعدة أسباب منها:-

١. أنه من المعروف بأن أصدق كلام هو كلام الله، فإذا كان الله جل وعلا هو من سيُبيِّن كلامه بكلامه فهذا أعلى درجات التفسير وأصحها، فتفسير القرآن بالقرآن أصح وأحسن تفسير باعتبار من فَسَّره وهو الله جل وعلا، ومن ذلك كانت أهميته ومكانته وقوته، فليس أحدٌ أعلم بكلامه من الله.

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله في أهمية هذا اللون من ألوان التفسير: "إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا" ا.هـ(٦)

٢. أن هذا النوع من أنواع التفسير هو من أبرز ما فَسَّر به النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم، وحث عليه أصحابه، وهناك أمثلة على ذلك، ومنها ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ **الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾[سورة الأنعام : الآية ٨٢]، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يلبس إيمانه بظلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾[سورة لقمان : الآية ١٣].(٧)

٣. اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين بهذا اللون من ألوان التفسير، فالناظر في كتب التفاسير يجد ما يُنقل عنهم في تفسير القرآن بالقرآن ظاهراً وبارزاً، ومن أمثلة ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ **وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** سورة الروم : الآية ٢٧]، قال: كقوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[سورة الشورى : الآية ١١].(٨)

ومن أمثلة ما فسَّره التابعون، ما جاء عن قتادة رحمه الله في قوله: ﴿ **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** ا﴾[سورة الأحزاب : الآية ٢٢]، قال: وكان الله قد وعدهم في سورة البقرة فقال: ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ**

الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[سورة البقرة : الآية ٢١٤].(٩)

٤. اهتمام علماء التفسير بهذا اللون من ألوان التفسير قديماً وحديثاً، فمنهم من أدرجه ضمن تفسيره وهذا الأغلب عنهم كالإمام ابن كثير رحمه الله، ومنهم من أفرده بتفسير مستقل كالإمام الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان، ومن الأمثلة على ذلك ما فسَّر به الإمام ابن كثير رحمه الله قوله: ﴿ **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ** ﴾[سورة الروم : الآية ١٩] قال: كقوله تعالى: ﴿ **وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ** ﴾ [سورة يس : الآية ٣٣].(١٠)

ومن أمثلة ما فسَّر به الإمام الشنقيطي رحمه الله ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ** ﴾[سورة الأعراف : الآية ٥٧]، قال: يعني برحمته المطر كما جاء مبيناً في غير هذا الموضع كقوله: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾[سورة الشورى : الآية ٢٨].(١١)

٥. أن هذا النوع من أنواع التفسير هو من أبواب التدبر وزيادة الإيمان بهذا القرآن، فإذا علمت أن الله جل وعلا هو الذي يبيِّن مراده بكلامه من غير تعارض واختلاف، كان ذلك زيادة في تدبرك وإيمانك به، ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾[سورة النساء : الآية ٨٢]

٦. أن تفسير القرآن بالقرآن أقرب طرائق التفسير للصواب وأبعدها عن الزلل، لأن القرآن محفوظ بحفظ الله وفيه بيان كاف شاف لما جاء فيه، وهو أصح وأعلى مصادر التفسير بالمأثور، فيكون المفسِّر به أقرب الناس للحق إذا كان من أهل الحق ولا يريد إلا الحق، بخلاف أهل الأهواء والبدع الذين يفسِّرونه بما تُملي عليه أهواؤُهم ومعتقداتهم الباطلة.

٧. أن تفسير القرآن بالقرآن هو أول ما يُرجَع إليه عند تفسير الآية، فهو أول مصادر التفسير، فإذا كان هناك اختلاف في معنى آية فإن أولى وجوه الترجيح فيها هو ما جاء في كتاب الله جل وعلا، حيث يرجِّح المفسِّر معنى معين في الآية المفسَّرة استناداً لما جاءت به الآية المفسِّرة.

٨. أن فهم القرآن الفهم التام متوقف على بيان القرآن نفسه، فلا يُفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير القرآن بعضه لبعض.

٩. أن القرآن الكريم أنزله الله على الناس ليتلوه ويحفظوه ويعملوا بما فيه، ومن هذا فإن تفسير القرآن بالقرآن من أهم العوامل على تحقيق هذه الغاية، فإن الرجوع إلى كتاب الله والعمل بما فيه، فيه تحقيق لهذه الغاية العظمى التي من أجلها أُنزل.

١٠. أن المفسِّر الذي يهتم بهذا اللون من ألوان التفسير، يكون من أفهم الناس لكلام الله حيث إنه يكثر القراءة فيه ويطيل النظر في مسائله، ممَّا يكسبه الفهم الكافي لكلام الله، وهذا فيه فضيلة عظمى زيادة على ما يَعرف من المعنى الذي يريد التوصل إليه، وهي أجر التلاوة والتدبُّر.

المبحث الثاني: طريقة الوصول إلى تفسير القرآن بالقرآن وحجيته

هذا المبحث فيه مطلبان:-

أولاً: المطلب الأول: طريقة الوصول إلى تفسير القرآن بالقرآن:-

إن المفسِّر الذي يهتم بهذا اللون من ألوان التفسير يحتاج إلى ثلاث طرائق للوصول إلى المعنى المراد تفسيره:-

١. الطريقة الأولى:-

القرآن الكريم، فإن فيه بياناً لبعضه سواءً أكان هذا البيان مرتبطاً بالآية المراد تفسيرها أو منفصلاً عنها، وهذا يكون في الآيات الواضحة والصريحة في معناها، فلا يحتاج المفسِّر إلى إعمال فكره في النظر فيها، لأن هذا المعنى واضح وبيِّن في سياق الآيات.

ومثاله في الآيات المفسِّرة لبعضها المتصلة في المعنى والسياق:-

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا** ﴾، فبيان معنى الهلع عند الإنسان ذكرته الآيات بعد هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿ **إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا** ﴾ [سورة المعارج : الآية ١٩ – ٢١]، فهنا فسَّر القرآن معنى الهلع في الآيات بما جاء بعدها، مما لا يحتاج إلى نظر لأن المعنى واضح وصريح.

وقوله تعالى: ﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ** ﴾[سورة آل عمران : الآية ٩٧]، حيث فسَّر الآيات البيِّنات بقوله تعالى في الآية بعدها: ﴿ **مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا** ﴾، فالآيات البيِّنات هي مقام إبراهيم عليه السلام.

ومثاله في الآيات المفسِّرة لبعضها المنفصلة في مواضعها:-

قوله تعالى: ﴿ **أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ** ﴾[سورة المائدة : الآية ١]، فهذا الاستثناء مجمل، بيَّنه في آية أخرى بقوله: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ** ﴾[سورة المائدة : الآية ٣].١٢

وقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** ﴾[سورة الفرقان : الآية ٣٢]، فبيَّن الله سبب عدم نزول القرآن جملة واحدة في سورة أخرى كذلك بقوله تعالى: ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** ﴾[سورة الإسراء : الآية ١٠٦].

٢. الطريقة الثانية:-

السنة النبوية، فهي مبيِّنة للقرآن وشارحة له، فما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير آية بآية، يكون الطريق الثاني في الوصول لتفسير القرآن بالقرآن، وقد سبق أن ذكرت ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في أهمية السنة النبوية في تفسير القرآن حيث قال: "فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له." ا.هـ (١٣)

ومثاله ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام في استعماله لهذا النوع من أنواع التفسير ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ** ﴾[سورة الأنعام : الآية ٥٩]، حيث فَسّرها بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[سورة لقمان : الآية ٣٤].(١٤)

٣. الطريقة الثالثة:-

وهي الرأي والاجتهاد، وهذا ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن باجتهاد المفسِّر، سواءٌ كان من الصحابة رضوان الله عليهم، أو التابعين، أو من جاء بعدهم من علماء التفسير حتى يومنا هذا، وهذه الطريقة من طرائق التفسير تحتاج إلى دراسة وتمحيص، لأن صاحب الرأي قد يزل برأيه في تفسيره للآية.

والرأي ينقسم قسمين:-

الرأي المحمود: وهو كان مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه، من القرآن ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، بعيداً عن الجهالة والضلالة، وكان صاحبه عالماً باللغة العربية، خبيراً بأساليبها، عالماً بقواعد الشريعة وأصولها.

الرأي المذموم: هو ما استُند فيه إلى ما لا يجب الاستناد إليه، بمجرد الرأي والهوى، كأهل البدع والمذاهب الباطلة.(١٥)

وأمثلة الرأي المحمود كثيرة جداً، وذكرت بعضها في المبحث السابق، وسأذكر مثالاً على التفسير بالرأي المذموم، وهو اعتبار قوله تعالى: ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[سورة الأنعام : الآية ١٠٣]، تفسيراً لقوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾[سورة القيامة : الآيات ٢٢ – ٢٣]، لموافقة معتقد نفي الرؤية، وهذا تفسير مردود.

وبذلك يكون تفسير القرآن بالقرآن من قبيل التفسير بالرأي المحمود، من وجه إعمال الاجتهاد في تفسيره للآية المفسَّرة، ويكون من قبيل التفسير بالمأثور من حيث أصله ومصدره.

ثانياً: المطلب الثاني

حجية تفسير القرآن بالقرآن:-

ومعنى الحجية: يعني هل يلزم قبول هذا النوع من أنواع التفسير مطلقاً والأخذ به، أو عدم قبوله وعدم الأخذ به؟.

هذا المطلب مرتبط بالمطلب السابق، حيث إن الحجية لهذا النوع من أنواع التفسير، مرتبطة بطريقة الوصول إليه، وبهذا نحتاج إلى ذكر التفصيل في ذلك:-

١. ما كان من طريق كتاب الله جل وعلا، حيث إن الآية المفسَّرة فَسَّرتها آية أخرى متصلة بها أو منفصلة عنها واضحة الدلالة صريحة المعنى، فإنه يلزمنا الأخذ به وقبوله مطلقاً، لأن هذا أقوى درجات تفسير القرآن بالقرآن وأصحها، وقد ذكرت الأمثلة على ذلك في المطلب السابق.

٢. ما كان من طريق النبي صلى الله عليه وسلم وصحَّ عنه ذلك، حيث يُفَسِّر عليه الصلاة والسلام آية بآية أخرى، فإنه يلزمنا الأخذ به وقبوله مطلقاً، لأنه لا يقل مكانةً عن الطريق الأول، لأنه عليه الصلاة والسلام ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)**﴾[سورة النجم : الآية ٣ – ٤]، وقد ذكرت الأمثلة على ذلك في المطلب السابق.

قال الشيخ الزرقاني: "أما تفسير بعض القرآن ببعض، وتفسير القرآن بالسنة الصحيحة المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلا خلاف في وجاهته وقبوله"(١٦)

٣. ما كان من قبيل الرأي والاجتهاد، ففيه تفصيل:-

أ. ما كان من طريق الرأي المحمود، وهو المجرد عن الأهواء والبدع، فيحتمل أمرين:-

– أن يكون هذا الرأي في معنى الآية موافقاً لما أراده الله جل وعلا في معنى الآية وهو الراجح فيها، فإنه يُؤخذ به ولا إشكال.

مثاله: ما فسَّر به الإمام الطبري رحمه الله قوله تعالى: ﴿ **وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾ [سورة الروم : الآية ١٣]، يقول: وكانوا بشركائهم في الضلالة والمعاونة في الدنيا

على أولياء الله كافرين، يجحدون ولايتهم، ويتبرّءون منهم، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿ **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ** ﴾[سورة البقرة : الآية ١٦٦].(١٧)، فهذا التفسير موافق لما أراده الله في معنى الآية وهو مقبول.

– أن يكون هذا الرأي المحمود مخالفاً لمراد الله في الآية وللمعنى الراجح فيها، فإنه لا يُؤخذ به ويكون معنىً مرجوحاً.

مثاله: ما فسَّر به الإمام ابن كثير رحمه الله قوله: ﴿ **وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ** ﴾[سورة الروم : الآية ١٨]، حيث قال:العشاء هو: شدة الظلام، والإظهار: قوة الضياء. فسبحان خالق هذا وهذا، فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا، كما قال: ﴿ **وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)**﴾[سورة الشمس : الآية ٣،٤].(١٨)، وهذا التفسير مخالف للراجح، حيث إن المعنى الراجح للآية بأن المراد بالعشي هو وقت صلاة العصر والمراد بالظهيرة هو وقت صلاة الظهر.

ب. ما كان من طريق الرأي المذموم، الموافق للأهواء الفاسدة والمعتقدات الباطلة، فإنه مردود على قائله ولا يجوز الأخذ به مطلقاً، ومثاله ما ذكرته في المطلب السابق، فيما يخص نفي الرؤية لله بدليل قوله تعالى: ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ وهذا النوع من أنواع التفسير بالرأي هو الذي قال فيه شيخ الاسلام ابن تيمية: "فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام"(١٩)

المبحث الثالث: مصادر تفسير القرآن بالقرآن وأهم المؤلفات فيه

هذا المبحث فيه مطلبان:-

أولاً: المطلب الأول:-مصادر تفسير القرآن بالقرآن.

هذا المطلب يختلف عن المبحث السابق -طريقة الوصول إلى تفسير القرآن بالقرآن- حيث إن المصادر تكون لمن أراد الحصول على معنى معين للآية، وهذا لغير المتخصص، وأما طريقة الوصول فيكون للمتخصص في هذا العلم، حيث يريد الخوض في تفسير القرآن بالقرآن، بالممارسة والدراسة، وهذان المبحثان قد يُغني أحدهما عن الآخر، إلا أن المصادر أشمل.

وهذه المصادر في تفسير القرآن بالقرآن، هي:-

المصدر الأول: القرآن الكريم.

وهو أن تُفسَّر الآية القرآنية بآية تليها في نفس الموضع، أو بآية أخرى في موضع آخر منفصل عنها، وقد سبق في المبحث السابق التفصيل في ذلك مع الأمثلة، وسأذكر مثالاً آخر لزيادة الإيضاح، مثال ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[سورة الفاتحة : الآية ٤]، فقد بيَّنت آية الانفطار معنى يوم الدين بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)**﴾[سورة الانفطار : الآيات ١٦ – ١٩]

وهذا المصدر من أهم المصادر وأصحها في تفسير القرآن بالقرآن لأن الله أعلم بمراده من غيره.

المصدر الثاني: التفسير النبوي.

وهو ما صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره لبعض الآيات، إذ تُشكل الآية على الصحابة رضوان الله عليهم، فيفسرها الرسول صلى الله عليه وسلم بآية أخرى تبيِّنها، وهذا النوع جاءت به كتب السنة، و مثاله: زيادة على ما ذكرت في المبحث السابق، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾[سورة التكوير : الآية ٧]، قال: الضرباء، كلّ رجل مع قوم كانوا يعملون بعمله، وذلك بأنّ الله تعالى يقول: ﴿ **وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ** ﴾ [سورة الواقعة : الآيات ٧ – ١٠]، قال: هم الضرباء.(٢٠)

المصدر الثالث: تفسير الصحابة رضوان الله عليهم.

وهو ما فَسَّر به صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، حيث كانوا يفسِّرون بعض الآيات القرآنية بآيات أخرى، وذلك ببيان مجملها أو بيان ناسخها ومنسوخها أو غيره من الأوجه، وأشهر من استعمل هذا النوع من التفسير هو ابن عباس رضي الله عنه، ومن أمثلة ذلك ما روي عنه رضي الله عنه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى** ﴾[سورة النازعات : الآية ٢٥]، قال: أما الأولى فحين قال: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ﴾[سورة القصص : الآية ٣٨]، وأما الآخرة فحين قال: ﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾[سورة النازعات : الآية ٢٤].(٢١)، وقد ذكرت أمثلة على ذلك في المبحث الثاني من هذا البحث.

المصدر الرابع: تفسير التابعين وأتباعهم.

وقد ورد عنهم أمثلة كثيرة في ذلك، والإمام ابن جرير رحمه الله نقل الكثير من المرويات عنهم في تفسيره، وكذلك الإمام السيوطي في الدر المنثور، وأذكر مثالاً واحداً لهذا المصدر من مصادر التفسير، وهو ما رواه ابن جرير رحمه الله عن عبد الرحمن بن زيد حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[سورة فاطر : الآية ٣٧]، قال: النذير محمد عليه الصلاة والسلام وقرأ: ﴿ **هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى** ﴾ [سورة النجم : الآية ٥٦].(٢٢)، وقد سبق ذكر الأمثلة على ذلك في المبحث الثاني.

المصدر الخامس: المدونون في التفسير الذين اعتمدوا هذا الطريق.

هناك من علماء التفسير من اهتم بهذا اللون من التفسير وفسَّر به، فمنهم من ذكره ضمن تفسيره ولم يفرده بمؤلف، كالإمام الطبري وابن كثير رحمهما الله، حيث كانوا يفسِّرون بعض الآيات بآيات أخرى تبيِّنها وتوضِّحها ومن ذلك ما فسَّر به الإمام الطبري قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [سورة سبأ : الآية ٢٠]، فقال: ظن إبليس هو قوله: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [سورة ص : الآية ٨٢].(٢٣)، ففسَّر ظن إبليس بما أراده من غواية بني آدم، وقد سبق ذكر الأمثلة على ذلك في المبحث الثاني.

ثانياً: المطلب الثاني:-

أهم المؤلفات في تفسير القرآن بالقرآن.

من العلماء من أفرد تفسير القرآن بالقرآن بمؤلف يختص به وهم قليل، وسأذكر بعض هذه المؤلفات في هذا اللون من ألوان التفسير:-

١. مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن، للأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني(٢٤).
٢. تفسير القرآن بكلام الرحمن، لأبي الوفاء ثناء الله الهندي الأمرتسري (٢٥).
٣. التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)(٢٦).
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للعلامة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي (٢٧).
٥. تفسير القرآن بالقرآن والسنة والآثار وبالأسلوب الحديث، لأحمد بن عبدالرحمن القاسم.(٢٨).
٦. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين(٢٩).
٧. ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم، للدكتور ملفي بن ناعم الصاعدي.(٣٠)

المبحث الرابع: أوجه تفسير القرآن بالقرآن

المراد به بيان وجه العلاقة بين الآية المفسَّرة والآية المفسِّرة، حتى يستطيع المفسِّر أن يربط بين الآيات ويفسِّرها ببعضها من خلال هذه الأوجه، وقد تفاوت العلماء والباحثون في أوجه تفسير القرآن بالقرآن بين مُقلٍّ ومكثر، فمنهم من ذكرها ضمناً في التعريف بهذا النوع من أنواع التفسير، كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه حيث قال: " فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر"(٣١)، ومنهم من أفردها بالذكر كالإمام الذهبي، والإمام الشنقيطي، والدكتور البريدي(٣٢)، وهؤلاء العلماء والمؤلفون اتفقوا على بعض أوجه البيان، وزاد بعضهم عن الآخر، حتى أن بعضهم أوصلها إلى خمسة وعشرين وجهاً، وبعضهم أوصلها إلى تسعة عشر وجهاً، والذي أراه أن التوسُّع في هذه الأوجه قد يفقدها شموليتها، فقد يذكر العلماء وجهاً عاماً يستطيع الباحث أو القارئ فهمه والتطبيق عليه، ثم يأتي بعد ذلك ذكر وجه دقيق ممَّا قد يشكل عليه أنها متداخلة، لأن بعض الأوجه المذكورة تجد أمثلتها في كتاب الله محدودة وقليلة جداً، وقد يستغنى عن هذا الوجه الدقيق بذكر الوجه العام الذي يشمله، ومن ذلك فإني سأذكر الأوجه المعتبرة الشاملة مع ذكر المثال عليها من الآيات القرآنية، وكل هذا استقراءً ممَّا ذكره العلماء والمؤلفون قبلي في هذا المجال.

ومن هذه الأوجه المتفق عليها ما يأتي:-

الوجه الأول: حمل المجمل على المبيَّن.(٣٣)

هذا الوجه من أوضح الأوجه في تفسير القرآن بالقرآن، وسأذكر معنى الإجمال والبيان في هذا الوجه.

المجمل: هو ما احتمل معنيين أو أكثر من غير ترجيح لواحد منهما.

المبيَّن: هو الموضِّح والمظهر لما أُجمل، ويطلق على كل ما يزيل الإشكال.(٣٤)

وتوضيح هذا الوجه: بمعنى أن تأتي الآية بمعنى مجمل يحتاج إلى بيان وإيضاح، فتأتي آية أخرى ببيانها وقد تكون هذه الآية متصلة بها أو منفصلة عنها، وسبب هذا الإجمال يختلف من آية لأخرى، فمنه ما يكون بسبب الاشتراك، ومنه ما يكون بسبب الحذف، ومنه ما يكون بسبب مرجع الضمير، أو غرابة اللفظ، أو التقديم والتأخير، أو غيره من الأسباب.(٣٥)

ومن أمثلة البيان المنفصل، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا** ﴾[سورة النساء : الآية ٢٧]، فهذه الآية مجملة وقد بيَّنها قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ** ﴾[سورة النساء : الآية ٤٤]، فبيَّنت هذه الآية أن الذين يتبعون الشهوات المقصود بهم أهل الكتاب حيث إنهم يريدون إضلال المؤمنين.

ومن أمثلة البيان المتصل، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ** ﴾، فالآية هنا مجملة وبيَّنها ما جاء بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿ **جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ** ﴾ [سورة سبأ : الآية ١٥]، فآية قوم سبأ هي الجنتان عن يمين وشمال.

الوجه الثاني: تفسير ما جاء موجزاً في موضع بما جاء مبسوطاً أو مسهباً في موضع آخر.(٣٦)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر" (٣٧)

وهذا الوجه يأتي كثيراً في عرض القصص القرآنية، حيث يذكرها الله في مواضع متعددة فيحتاج المفسِّر إلى جمعها حتى تكتمل لديه أحداث تلك القصص، كما جاء في قصة آدم وإبليس، وقصة موسى وفرعون وغيرها الكثير.

ومن أمثلته: ما فسَّر به الإمام ابن كثير رحمه الله قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦)** ﴾[سورة البقرة : الآيات ٦٥ ، ٦٦]، حيث قال: وهذه القصة مبسوطة في سورة الأعراف، حيث يقول الله تعالى: ﴿ **وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** ﴾[سورة الأعراف : ١٦٣]، القصة بكاملها.(٣٨)

الوجه الثالث: حمل العام على الخاص.(٣٩)

لا بد في هذا الوجه من التعريف بالعام والخاص أولاً.

العام: هو اللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر.

الخاص: هو اللفظ الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر.(٤٠)

والمراد بهذا الوجه: أن تأتي آية عامة، وتخصِّصُها آية أو آيات أخرى، فتكون الآية أو الآيات المخصِّصَة مبينةً ومفسِّرةً للآية العامّة، وهذا هو النوع الثالث من أقسام العام في القرآن، وهو العام المخصوص، ويكون هذا المخصِّص إما متصلاً بالآية أو منفصلاً عنها، ويأتي على صيغة الاستثناء أو الشرط أو الغاية أو الصفة أو البدل، وسأذكر ذلك مع التمثيل.

وسأبدأ بذكر أقسام العام عند العلماء مع الأمثلة:-(٤١)

النوع الأول: الباقي على عمومه.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ [سورة يونس : الآية ٤٤]

النوع الثاني: العام المراد به الخصوص.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾[سورة آل عمران : الآية ١٧٣]

النوع الثالث: العام المخصوص.

وهذا النوع هو المراد هنا، ويكون إما منفصلاً بحيث تكون الآية المخصصة في موضع آخر عن الآية العامة، ومثاله: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٥٤]، فالآية عامة في نفي الخلة والشفاعة يوم القيامة، إلا أن الآيات الأخرى خصصتها كما في قوله تعالى: ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾[سورة الزخرف : الآية ٦٧]، واستثنى ما أذن فيه من الشفاعة بقوله تعالى: ﴿ **وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى** ﴾[سورة النجم : الآية ٢٦].

وإما أن يكون المخصص متصلاً بالآية، ويأتي هذا على خمسة أنواع:-

١. الاستثناء، كقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)** ﴾[سورة النور : الآيات ٤ – ٥]، الآية خصصت بالاستثناء من الفسق الذين تابوا وأصلحوا.

٢. الصفة، كقوله تعالى: ﴿ **وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ** ﴾[سورة النساء : الآية ٢٣]، الآية خُصصت بالصفة، التحريم بالنكاح من الربيبة التي دُخل بأمها دون غيرها.

٣. الشرط، كقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا** ﴾[سورة النور : الآية ٣٣]، الآية خُصصت بالشرط في المكاتبة بمن علمتم فيهم خيراً دون غيرهم.

٤. الغاية، كقوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ** ﴾[سورة البقرة : الآية ٢٢٢]، الآية خُصصت بأداة الغاية (حتى) يطهرن: أي المرأة لا يجوز إتيانها إلا بعد أن تطهر من حيضها.

٥. بدل البعض من الكل، كقوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾(٤٢) الآية خُصصت بالبدل من الناس، فيكون وجوب الحج خاصاً بالمستطيع. (٤٣)

الوجه الرابع: حمل المطلق على المقيَّد.(٤٤)

المطلق: هو ما دلَّ على الحقيقة بلا قيد.

المقيَّد: هو ما دلَّ على الحقيقة قيد.(٤٥)

والمراد بهذا الوجه: أن تأتي آية مطلقة، وفي موضع آخر مقيَّده، فيحمل المطلق على المقيَّد.

وللمطلق مع المقيَّد أربع حالات، سأذكرها مع التمثيل لكل حالة:-(٤٦)

الحالة الأولى:

أن يتحد الحكم والسبب، ومثاله: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** ﴾[سورة المائدة : الآية ٣]، فلفظ الدم في هذه الآية مطلق، وفي موضع آخر جاء مقيَّداً بالمسفوح كما قال تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**﴾[سورة الأنعام : ١٤٥]، فيُحمل المطلق على المقيَّد.

الحالة الثانية:-

أن يتحد السبب ويختلف الحكم، ومثاله: كالأيدي في الوضوء والتيمم، قيَّد غسل الأيدي في الوضوء بأنه إلى المرافق، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾ وأطلق المسح في التيمم، فقال: ﴿ **فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ** ﴾[سورة المائدة : الآية ٦]، وحمل المطلق على المقيَّد هنا فيه قولان: أنه يحمل المطلق على المقيَّد ،وقول بأنه لا يحمل المطلق على المقيَّد وهو الراجح.(٤٧)

الحالة الثالثة:-

أن يختلف السبب ويختلف الحكم، كاليد في الوضوء والسرقة، قيَّدت في الوضوء إلى المرافق، بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾، وأطلقت في السرقة، قال تعالى: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[سورة المائدة : الآية ٣٨]، فلا يُحمل المطلق على المقيَّد للاختلاف سبباً وحكماً.

الحالة الرابعة:-

أن يختلف السبب ويتحد الحكم، وفي هذا صورتان:-

الصورة الأولى: أن يكون التقييد واحداً:-

ومثاله: عتق الرقبة في الكفارة، فقد ورد اشتراط الإيمان في الرقبة بتقييدها بالرقبة المؤمنة في كفارة القتل الخطأ في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**﴾[سورة النساء: ٩٢]، وأطلقت في كفارة الظهار في قوله تعالى: ﴿) **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [سورة المجادلة: ٣]، وأطلقت في كفارة اليمين في قوله تعالى: ﴿ **لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** ﴾[سورة المائدة: ٨٩].

ففي الآيات الثلاث، اتحد الحكم وهو الكفارة بعتق رقبة، واختلف سبب الكفارة فيها؛ فالأولى في القتل، والثانية في الظهار، والثالثة في اليمين، وفي هذه الحالة اختلف العلماء في حمل المطلق على المقيّد على قولين:-

١- حمل المطلق على المقيّد: وإليه ذهب جمهور الشافعية والحنابلة، وهو ما رجَّحه الإمام الزركشي، حيث قال: "والمطلق كالمقيد في وصف الرقبة"(٤٨)

٢- عدم حمل المطلق على المقيّد: وإليه ذهب جمهور الحنفية، وأكثر المالكية وهو رواية عن الحنابلة.

والراجح – والله أعلم – حمل المطلق على المقيّد في هذه الحالة. (٤٩)

الصورة الثانية: أن يكون التقييد مختلفاً:-

ومثاله: كالكفارة بالصوم، قيَّد الصوم بالتتابع في كفارة القتل، قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾[سورة النساء : الآية ٩٢]، وفي كفارة الظهار قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا** ﴾[سورة المجادلة: الآية ٤]، وجاء تقييده بالتفريق في صوم المتمتع بالحج، قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ** ﴾[سورة البقرة: ١٩٦]، ثم جاء الصوم مطلقاً دون تقييد بالتتابع أو التفريق في كفارة اليمين، قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ** ﴾[سورة المائدة: ٨٩]، وفي قضاء رمضان، قال تعالى: ﴿ **أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾[سورة البقرة: ١٨٤]، فالمطلق في هذا لا يُحمل على المقيَّد، لأن القيد مختلف، فحمل المطلق على أحدهما ترجيح بلا مرجح، وهذا ما اتَّفق عليه العلماء لاختلاف القيد وعدم وجود مرجَّح لأحد القيود.(٥٠)

قال الزركشي: "والثاني كإطلاق صوم الأيام في كفارة اليمين، وقُيِّدت بالتتابع في الظهار والقتل، وبالتفريق في صوم التمتع، فلما تجاذب الأصل تركناه على إطلاقه"(٥١)

الوجه الخامس: حمل المعنى المبهم على الواضح.(٥٢)

المبهم: هو كل ما لا يُفهم معناه بمفرده، سواء كان لفظاً واحداً أو مجموعة ألفاظ، فيحتاج إلى إيضاح وبيان.

والمراد بهذا الوجه أن يأتي معنى في الآية المفسَّرة غير واضح ويحتاج إلى إيضاح، فتأتي الآية المفسِّرة بإيضاح هذا المعنى وتبيِّنه، وهذا الوجه يختلف مع الوجه الأول لأنه أعم منه، كما قال الإمام الشنقيطي رحمه الله: "واعلم أن المبهم أعم من المجمل عموماً مطلقاً، فكل مجمل مبهم، وليس كل مبهم مجملاً"(٥٣)

وينقسم المبهم في القرآن قسمين(٥٤):-

القسم الأول:-

وهو ما أُبهم في موضع ووضِّح في موضع آخر، ممَّا يحتاج إلى بيان وإيضاح وهو المراد هنا.

ومثاله: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ **وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[سورة التوبة : الآية ١٠٦]، حيث أبهمت الآية المرجون لأمر الله ووضحتها الآية الأخرى بقوله: ﴿ **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾[سورة التوبة : الآية ١١٨]، فوضحت هذه الآية بأنهم الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك.

القسم الثاني:-

مبهم لم يدل دليل على تعيينه، فنبقيه على إبهامه، لأن تعيينه لا يعود بفائدة على المكلفين، كاسم الرجل المؤمن من آل فرعون، أو اسم الرجل الذي مرَّ على القرية، أو أسماء أصحاب الكهف، وغيرها.

وهذان القسمان، قد ذكرهما الإمام السيوطي رحمه الله، ضمن ذكره لأسباب المبهمات في القرآن الكريم، وسأذكرها بإجمال:-

قال: "أحدها: الاستغناء ببيانه في موضع آخر، الثاني: أن يتعيَّن لاشتهاره، الثالث: قصد الستر عليه، الرابع: ألا يكون في تعيينه كبير فائدة، الخامس: التنبيه على العموم، السادس: تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم، السابع: تحقيره بالوصف الناقص."(٥٥)

الوجه السادس: تفسير الألفاظ الغريبة.(٥٦)

المراد بهذا الوجه : أن تُفسَّر لفظة غريبة بلفظة أشهر منها وأوضح عند السامع في آية أخرى(٥٧)

وسأذكر بعض هذه الألفاظ لبيان هذا الوجه:-

حجارة من سجين[سورة الحجر: الآية ٧٤]، حجارة من طين[سورة الذاريات : الآية ٣٣]، مبلسين [سورة الروم : الآية ٤٩]، قانطين [سورة الشورى : الآية ٢٨]، أوبي [سورة سبأ : الآية ١٠]، سبحي [سورة الأنبياء : الآية ٧٩]، يقذف [سورة سبأ : الآية ٤٨] يلقي [سورة غافر : الآية ١٥].

ومثاله: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ** ﴾[سورة الروم : الآية ٤٣]، حيث فُسِّرت بقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ** ﴾[سورة الروم : الآية ١٤]، فاللفظ الغريب في الآية المفسَّرة هو يصدعون حيث فُسِّر بلفظ يتفرقون.

الوجه السابع: حمل القراءات بعضها على بعض.(٥٨)

وهذا الوجه يراد به أن تكون القراءة تختلف عن الأخرى في لفظها أو في معناها، حيث تُفسِّر إحدى القراءتين الأخرى، وهذا الوجه مهم في علم التفسير.

قال مجاهد: "لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته عنه"(٥٩)

ومثاله: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[سورة الجمعة : الآية ٩]، فَسَّرتها قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: "فامضوا إلى ذكر الله" لأن السعي عبارة عن المشي السريع، وهو وإن كان ظاهر اللفظ إلا أن المراد منه مجرد الذهاب.(٦٠)

الوجه الثامن: نسخ آية بآية أخرى.

النسخ: هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه.(٦١)

والمراد بهذا الوجه أن تأتي الآية الناسخة فترفع حكم الآية المنسوخة وتلغي العمل بها، وهذا جائز في كتاب الله.

وينقسم ثلاثة أنواع، سأذكرها إجمالاً:- (٦٢)

الأول: ما نُسخ تلاوته وبقي حكمه.

الثاني: ما نُسخ حكمه وتلاوته.

الثالث: ما نُسخ حكمه وبقيت تلاوته، وهذا هو المراد هنا في هذا الوجه.

ومثاله: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[سورة البقرة : الآية ٢٤٠]، كانت المرأة إذا مات زوجها لزمت التربص بعد انقضاء العدة حولاً كاملاً، ونفقتها في مال الزوج، ولا ميراث لها، فنسخ الله ذلك بقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[سورة البقرة : الآية ٢٣٤].(٦٣)

الوجه التاسع: الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف.(٦٤)

والمراد به: ما يوهم القارئ التعارض بين الآيات.(٦٥)

كأن يذكر الله في آية كيفية معينة لشيء معين ثم يذكر في موضع آخر كيفية أخرى لنفس الشيء، أو تأتي الآية فتذكر معنىً معين ثم تذكر في موضع آخر معنى آخر معيَّناً مخالفاً للأول، فيتوهم وقوع اضطراب وتعارض بين الآيات.

مثاله: ما جاءت به الآيات في ذكر خلق آدم عليه السلام، فذكرت في موضع أنه خلق من تراب، وفي موضع آخر أنه خلق من طين، وفي موضع آخر من حمأ مسنون، وفي موضع آخر من صلصال، فبهذا الوجه نستطيع الجمع بين كل هذا، حيث إن جميع ما ذكر هو بيان للأطوار التي مرَّ بها خلق آدم من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه.

ومثال آخر: قوله تعالى﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[سورة البقرة : ١٧٤]، مع قوله: ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)**﴾[سورة الحجر : ٩٢ ، ٩٣]، قيل: المنفي كلام التلطف والإكرام، والمثبت سؤال التوبيخ والإهانة والمحاسبة، فلا تنافي.(٦٦)

الوجه العاشر: اختيار قول في معنى الآية استناداً لآية أخرى.(٦٧)

ويراد بهذا الوجه أن يذكر المفسِّر قولاً في الآية مستدلاً بآية أخرى تقويها.

ومثاله: قول بعض أهل العلم، إن أزواجه صلى الله عليه وسلم لا يدخلن في أهل بيته في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾، فإن قرينه السياق صريحة في دخولهن، لأن الله تعالى قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا**

جَمِيلًا ﴾ ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ ثم قال بعده: ﴿ **وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾[سورة الأحزاب: الآيات ٢٨ – ٣٤] (٦٨)

الوجه الحادي عشر: جمع الآيات المتشابهة في موضوعها.(٦٩)

وهذا الوجه هو أن يذكر المفسَّر الآية المفسَّرة ويبيِّن معناها، ثم يذكر المواضع الأخرى التي تحدثت عن هذا المعنى لتأكيده، وأمثلة هذا النوع كثيرة جداً .

ومنها: ما ذكره الإمام الشنقيطي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ** ﴾[سورة سبأ : الآية ٢] فقال: وما ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أنه يعلم جميع ما ذكر، ذكره في سورة الحديد في قوله: ﴿ **يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[سورة الحديد : الآية ٤].(٧٠)

ومنها أيضاً: ما فسَّره الإمام الشنقيطي رحمه الله في قوله: ﴿ **وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[سورة الروم : الآية ٦]، فقال: وهو كونه لا يخلف وعده، فقد جاء في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** ﴾[سورة الرعد : الآية ٣١].(٧١)

ومنها: ما فسَّره به الإمام ابن كثير رحمه الله قوله تعالى: ﴿ **وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ** ﴾[سورة الروم : الآية ١٩]، حيث قال فيها: كقوله: ﴿ **وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ** ﴾[سورة يس : الآية ٣٣].(٧٢)

قائمة المصادر والمراجع:

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف – المدينة المنورة– ١٤٢٦هـ– تحقيق: مركز الدراسات القرآنية.

٢. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، دار الكتاب العربي– بيروت– ١٤٠٤هـ، ط١، تحقيق: د. سيد الجميلي.

٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر– بيروت– ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م، ط١، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، عالم الكتب– بيروت– ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

٥. بحوث في أصول التفسير ومناهجه، أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة الرشد– الرياض– ١٤٢٢هـ، ط٦.

٦. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة– بيروت– ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٧. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار السلام– الرياض – ١٤٢٤هـ، ط٦، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.

٨. تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج، المنشورات العلمية– بيروت، تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي.

٩. التفسير والمفسرون، د.محمد بن حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة– مصر– ١٣٩٦هـ، ط٢.

١٠. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر– بيروت، دمشق– ١٤١٠هـ، ط١، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

١١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر– بيروت – ١٤٠٥هـ.

١٢. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة– بيروت– ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، ط٣، تحقيق: د. مصطفى ديب.

١٣.دراسات في علوم القرآن الكريم، أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١١، ١٤٢٣ه.
١٤.دلائل النبوة، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي، دار النصر- القاهرة- ١٣٨٩هـ، ط١، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان.
١٥. روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، جامعة الإمام محمد بن سعود- الرياض- ١٣٩٩هـ، ط٢، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد.
١٦. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة ابن تيمية، ط٢، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
١٧.لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر- بيروت، ط١.
١٨.مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٤١٨هـ، ط٣٥.
١٩. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
٢٠.مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم- بيروت- ١٩٨٤م، ط٥.
٢١. مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠م.
٢٢. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ط٤، تحقيق: فواز أحمد زمرلي.
٢٣. الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، دار المعرفة-بيروت، تحقيق: عبد الله دراز، ط١، ١٤١٧ه.

الهوامش:

(١) انظر: لسان العرب (٥ /٥٥) .
(٢) انظر البرهان في علوم القرآن (١ /١٣) .
(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون (ص٤٣٧)، ارشاد الفحول (ص٦٢)، المعجم الوسيط (٧٢٢/٢)، دراسات في علوم القرآن الكريم أ.د /فهد الرومي (١ /٢١).
(٤) أضواء البيان (١ /٥)
(٥) مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣ /٣٦٣) .
(٦) أضواء البيان (١ /٥)
(٧) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم، حديث رقم (٤٤٩٨)، (١٧٩٣/٤).
(٨) فيما خرَّجه عنه الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره (٢١ /٣٨) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس .
(٩) فيما خرَّجه عنه الإمام الطبري في تفسيره (٢١ /١٤٤) من طريق سعيد بن جبير عن قتادة ، وخرَّجه البيهقي في دلائل النبوة (٤٣٥/٣) من طريق معمر عن قتادة ، باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من محاصرة .
(١٠) تفسير ابن كثير (٣ /٢١٧٤)
(١١) تفسير ابن كثير (٢ /١١٢٤)
(١٢) أضواء البيان (٣٢٦/١)
(١٣) انظر المبحث الثاني من هذا البحث.
(١٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾، حديث رقم (٤٣٥١)، (١٦٩٣/٤).
(١٥) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢ /١٦١)، مناهل العرفان للزرقاني (٢ /٤٢)، التفسير والمفسرون للذهبي (١ /٢٥٥)، بحوث في أصول التفسير ومناهجه للرومي (ص٧٩).
(١٦) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢ /٢٠)
(١٧) تفسير الطبري (٢١ /٢٦)
(١٨) تفسير ابن كثير (٣ /٢١٧٣)
(١٩) انظر: مقدمة التفسير لابن تيمية (١٣ /٣٧٠)
(٢٠) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٠ /٦٩)، عن سماك بن حرب عن النعمان مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
(٢١) أخرجه عنه ابن جرير الطبري (٤١/٣٠) من طريق محمد بن سعد العوفي، وهو طريق ضعيف.
(٢٢) تفسير الطبري (٢٢ /١٤٢)
(٢٣) تفسير الطبري (٢٢ /٨٧)

(٢٤)حققت الكتاب هدى بنت محمد بن سعد القباطي، في رسالة ماجستير بجامعة صنعاء، وقدم لها العلامة المؤرخ المحقق القاضي إسماعيل بن علي الأكوع رحمه الله، وقد صدر عن مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية ٢٠٠٤م، وقد حقق جزءًا منه الدكتور عبد الله بن سوقان الزهراني، في أطروحته للماجستير في الجامعة الإسلامية عام ١٤٠٨ه، وقد حقق سورة الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم.

(٢٥) هو أبو الوفاء ثناء الله ابن الشيخ محمد خضر الهندي الأمرتسري، ولد سنة ١٢٨٥هـ، له العديد من المؤلفات أكثرها في الرد على المبتدعة، انتقل بعد تقسيم الهند إلى كوجرانواله بباكستان ، وتوفي سنة ١٣٦٨هـ، انظر ترجمته في مقدمة تفسيره (ص ٩ – ١٦) بقلم الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، وكتابه هذا طبعته دار السلام بالرياض في مجلد واحد ١٤٢٣ه، ط١.

(٢٦) كتاب مطبوع في ١٦ مجلداً، وطبعته دار الفكر العربي بالقاهرة.

(٢٧) كتاب مطبوع عدة طبعات، أحدثها طبعة دار عالم الفوائد ضمن مشروع آثار العلامة الشنقيطي ٢٠١٥م، وأشرف على المشروع فضيلة العلامة بكر أبو زيد.

(٢٨) هو كتاب مطبوع في ست مجلدات، وقدَّم له سماحة الشيخ صالح الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

(٢٩) طبعت الموسوعة في ٤ مجلدات في دار المآثر – المدينة النبوية– ١٤٢٠ه، ط١.

(٣٠) بحث منشور له في مجلة الجامعة الإسلامية (العدد ١٣١، لعام ١٤٢٦هـ).

(٣١) مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣ /٣٦٣) .

(٣٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١ /٣٨)، أضواء البيان (١ /٦)، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للدكتور أحمد محمد البريدي، بحث منشور في مجلة الإمام الشاطبي، العدد الثاني من عام ١٤٢٧هـ .

(٣٣) هذا الوجه قد ذكره أكثر الذين كتبوا عن تفسير القرآن بالقرآن، انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (٣٨/١) ، أضواء البيان (١ /٧) ، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للدكتور أحمد محمد البريدي (ص٤٣)

(٣٤) أضواء البيان (١ /٣١ ، ٣٢)

(٣٥) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢ /٢٠٩)، أضواء البيان (١ /٧).

(٣٦) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١ /٣٨)، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للدكتور أحمد محمد البريدي (ص٤٠)

(٣٧) مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣ /٣٦٣) .

(٣٨) تفسير ابن كثير (١ /١٥٧)

(٣٩) انظر: البرهان للزركشي (٢ /٢٢٠)، التفسير والمفسرون (١ /٣٨)، أضواء البيان (٢٨/١)، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للدكتور البريدي (ص٤١).

(٤٠) انظر: الإتقان (٤ /١٤١٢)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٠١ ، ٢٠٦)

(٤١) انظر: البرهان للزركشي (٢ /٢١٧)، الإتقان في علوم القرآن (٤ /١٤١٤)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٠٣)، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للدكتور أحمد محمد (ص٤١).

(٤٢) [سورة آل عمران : الآية ٩٧]

(٤٣) هذه المخصصات ذكرها العلماء مع التمثيل لكل مخصص باستفاضة، ولم أتوسع فيها للاكتفاء بما ذكرت وللاختصار، انظر: البرهان للزركشي (٢ /٢٢٤)، الإتقان للسيوطي (١٤١٧/٤)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص٢٠٦).

(٤٤) انظر: البرهان للزركشي (٢ /١٥)، التفسير والمفسرون (١ /٣٨)، تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية (ص٤٦).

(٤٥) انظر: الإتقان (٤ /١٤٨٦)، مباحث في علوم القرآن (ص٢٢٥)، أصول التفسير ومناهجه (ص٤٨)

(٤٦) ذكر العلماء هذه الحالات في مصنفاتهم، انظر: روضة الناظر (١ /٢٦٠)، الإحكام للآمدي (٣ /٦)، الإتقان (٤ /١٤٨٦)

(٤٧) نقل السيوطي بأن الشافعية حملوا المطلق على المقيد في الجميع، وهو خلاف الراجح لاختلاف السبب،(١٤٨٧/٤)

(٤٨) البرهان (٢ /١٥)

(٤٩) انظر كلام الشيخ القطان في مباحث في علوم القرآن، حيث نقل عن أصحاب كل قول، وذكر الأدلة على ذلك، وحجة كل قول، ثم رجَّح بما عليه جمهور العلماء وهو القول الأول،(ص٢٢٦)، دراسات في علوم القرآن (ص٤٤٤)

(٥٠) انظر: مباحث في علوم القرآن (ص٢٢٨)، دراسات في علوم القرآن الكريم (ص٤٤٤).

(٥١) انظر البرهان (٢ /١٧)

(٥٢) انظر: أضواء البيان (١ /١٠)، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية (ص٤٥)

(٥٣) انظر أضواء البيان (١ /٣١)

(٥٤) ذكر هذا التقسيم الدكتور البريدي في "تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية" (ص٤٦)

(٥٥) ذكر الإمام السيوطي لكل نوع مثال، ولم أتوسع بذكر الأمثلة لكل نوع، لأن المراد هنا هو النوع الأول منها فقط وقد مثَّلت له بمثال، انظر: الإتقان (٦ /٢٠١٨)

(٥٦) انظر: أضواء البيان (١ /٢٤)، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية (ص٥٠)

(٥٧) أضواء البيان (١ /٢٤)

(٥٨) انظر: التفسير والمفسرون (١ /٤٠)، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية (ص٥٢)

(٥٩) هذا الأثر نقله شيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٣ /٣٦٩) عن مجاهد من طريق سفيان بن عيينه عن الأعمش.

(٦٠) فيما خرَّجه عنهما مجاهد رحمه الله في تفسيره (٢ /٦٧٤) من طريق أبي العالية فيما نقله عنهما، ونسبها الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (١٤ /١٨٥٨) لعمر بن الخطاب ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى: (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) برقم (٣٧٣).

(٦١) انظر: الموافقات في أصول الفقه (٣ /١٠٧)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص٦٩٧)، إرشاد الفحول (ص٣١٣).

(٦٢) ذكرها العلماء بالتفصيل مع ذكر الأمثلة لكل نوع، انظر: البرهان للزركشي (٢ /٣٥)، مناهل العرفان (١٦٧/٢).

(٦٣) انظر: البرهان (٢ /٣٧)

(٦٤) انظر: الإتقان (٤ /١٤٧٠)، التفسير والمفسرون (١ /٣٩)، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية (ص٥٢).

(٦٥) انظر: البرهان (٢ /٤٥)، الإتقان (٤ /١٤٧٠)

(٦٦) انظر: البرهان (٢ /٥٥)

(٦٧) انظر: أضواء البيان (١ /١٣)، تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية (ص٦١)

(٦٨) أضواء البيان (٦ /٥٧٦)

(٦٩) هذا الوجه استعمله الإمام الشنقيطي رحمه الله باستفاضة في تفسيره، وسأذكر بعض الأمثلة عليه هنا.

(٧٠) أضواء البيان (٦ /٦١٢)

(٧١) أضواء البيان (٦ /٤٧٥) .

(٧٢) تفسير ابن كثير (٣ /٢١٧٤)